

١٩ السلسلة التاريخية



السلسلة التاريخية

١٩

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسـم مكتبـة الطفـل

تم انتاج هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة سارتك لوزان - سويسرا



الفسيفساء



- أترى هذه الرُّسومَ البَديعَةَ التي تُحيلُ الجُدْرانَ إلى صُوَرٍ تَتألَّقُ فيها الألوانُ ؟

- نعم... إنَّها أشْبهُ بِحَصى صَغيرةٍ مُلوَّنةٍ مَرصوصَةٍ إلى جانبِ بَعْضِها البَعْضِ.

- وهُو كذلك... وهذا ما يُسمَّى بالفُسَيْفِساءِ. إليْك قِصَّتَها :



كانتِ الفُسيْفِساءُ مَرْغوبَةً جدًّا عِنْدَ الأقْدمينَ، لا لتَزْيينِ دورِهِمْ فحَسْبُ بَلْ لمَتانَتِها ولأنها لا تسرّب الماء. فاسْتَعْمَلُوها في تَبْليطِ أرضيَّاتِ دورِهِمْ وتَزْيينِ جُدْرانِها.

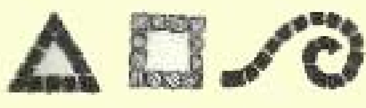
وكانُوا يَسْتَخْدِمونَ في بادئ الأمْرِ حَصى عاديةً ذاتَ ألْوانٍ فاتِحةٍ أو قاتِمةٍ يُرتِّبونها بأشْكالٍ هنْدَسيَّةٍ مُلوَّنةٍ لِتَزْيينِ أرضيَّاتِ دورِهِمْ.

ثُمَّ طَرَأتْ لَهُمْ فِكرةُ استِخْدامِ الطِّينِ المَحْروقِ أو الحِجارةِ أو عجينَةِ الزُّجاجِ، فكانُوا يَقْطَعُونها بِعنايةٍ على شَكْلِ مُكعَّباتٍ صغيرةٍ مُتناسقةٍ يُغطونَ بها رُسُومَهُمْ، مع الاحْتِفاظِ بِقطعِ الزُّجاجِ الصَّغيرةِ المُلوَّنةِ لِرسْمِ جواهِرِ أميرةٍ من الأميراتِ أو لإضْفاءِ مزيدٍ من الحيَويَّةِ على نَظْرةِ أحدِ الحيواناتِ.

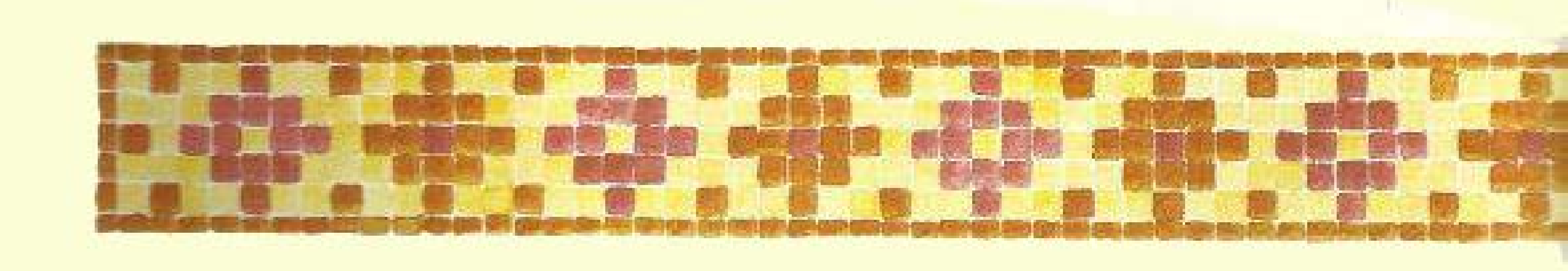


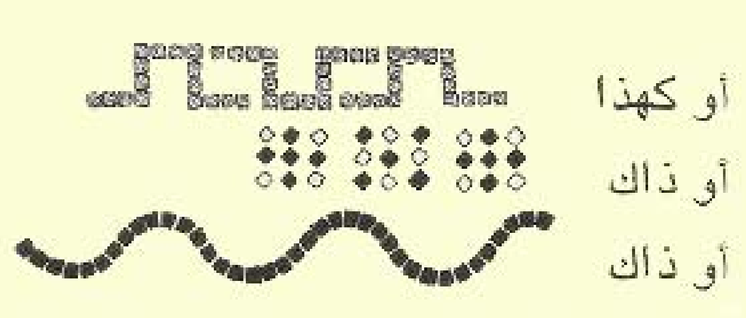
وذاتَ يَوْمٍ تَفتَّقَ ذِهْنُهُمْ عن تَلْبيسِ المُكعَّباتِ الزُّجاجيَّةِ بورَقةٍ من الذَّهَبِ وطَلْيِ هذه الوَرقةِ بِدوْرِها بِطبَقَةٍ من الزُّجاجِ لحمايتِها. وبفضْلِ هذه الطَّريقةِ كانتْ آلافُ المُكعَّباتِ التي تُؤلِّفُ لوْحةَ الفُسَيْفِساءِ تَتَلألأُ عند تَسْليطِ الأضْواءِ عليها.

وكانتِ الفُسَيْفِساءُ تُثبَّتُ بواسطةِ مادَّةِ إلْصاقٍ فَتُتيحُ إعْدادَ رُسومٍ مُتعَدِّدةٍ وتَلْوينَها بِشتَّى الألْوانِ.



وكثيرًا ما نُصادِفُ رُسومًا بسيطةً كهذا الرَّسْمِ.

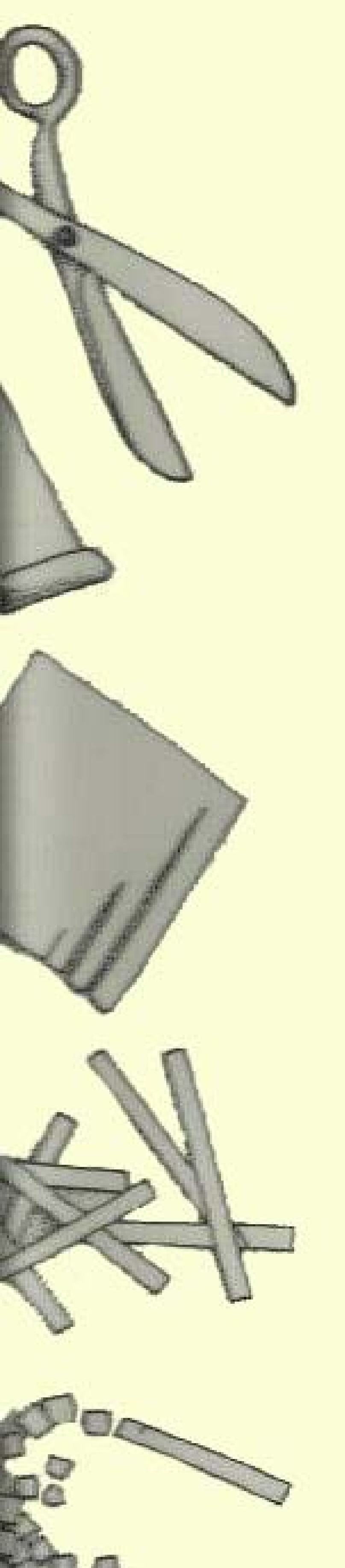




أو كهذا

أو ذاك

أو ذاك



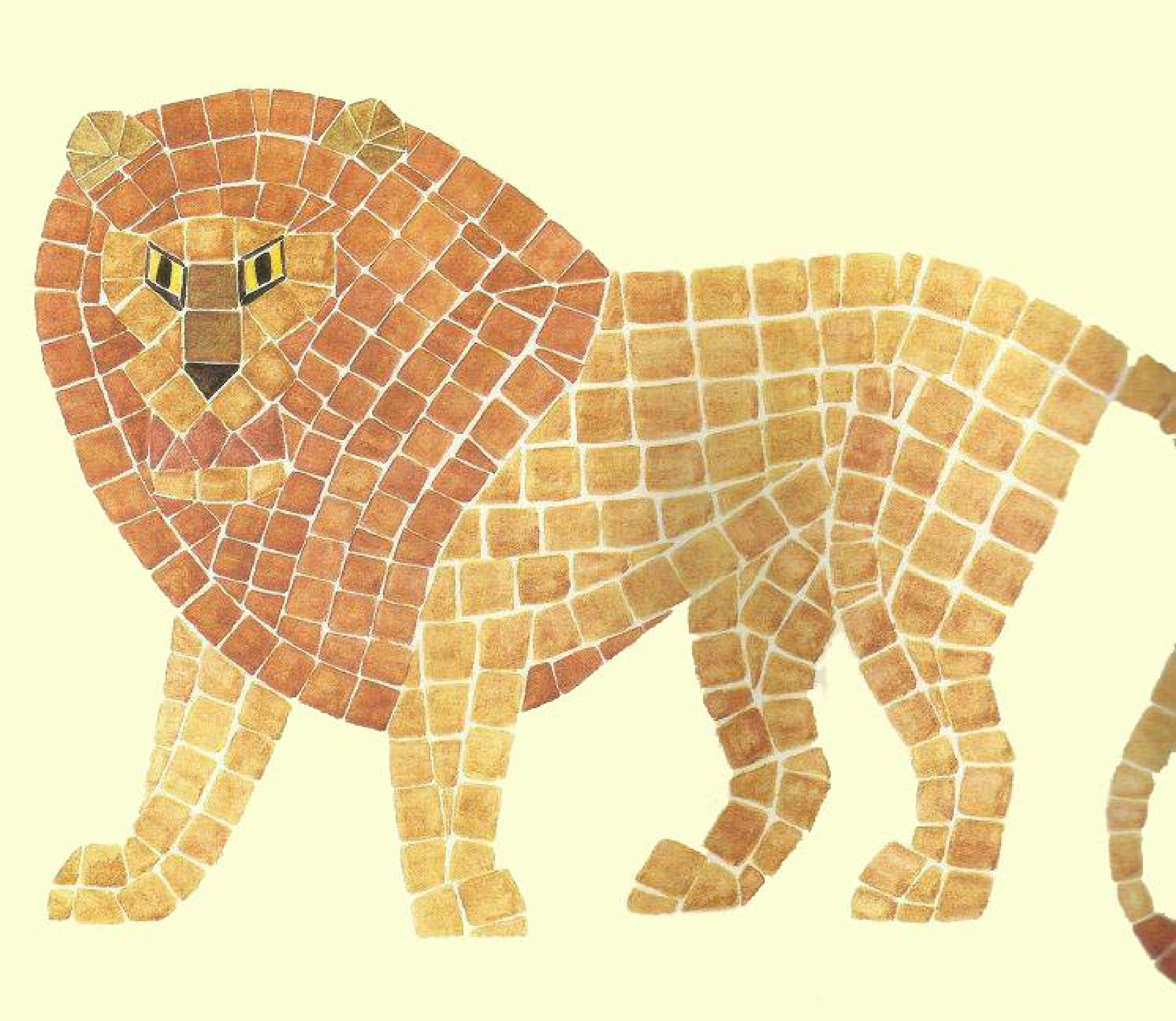
ومع مُضيّ الأيّام تزايدَتْ مهارَةُ الفنَّانينَ فأتقنُوا تصْوير مُختلف أنْواع الحيوانات (كالدَّلافين والنُّمور والأسُودِ والغِزْلانِ والجيادِ...) والنَّباتات والرُّسوم البشريَّة والمَناظِر الطَّبيعيَّةِ. وأدْخلُوا الكتابةَ كعُنْصرٍ زُخْرفيٍّ إذْ كان الأقْدمُون يُسجّلُونَ أحْياناً على الفُسَيْفِساء أسْماءَهُمْ أو أسْماء آلهتهم أو موْتاهُمْ.

باستِطاعتِكَ أنت أيضاً أنْ تصنَعَ لوحةً شبيهةً بلوحةِ الفُسيفساء وما عليك إلا أنْ تَطلبَ من أبَويك أو جيرانك أو أصدقائك إعطاءك بعض مجلّاتٍ مصوَّرة قديمةٍ. ثم خُذْ ورقةً متينةً بَيْضاء أو رُماديَّةً ومقصّاً وبعض الصَّمْغِ. وقُصَّ قطَعاً كبيرةً مِنَ الوَرقِ المُلوَّنِ : صَفْراءَ وحَمْراءَ وخَضْراءَ وزَرْقاءَ وسَوْداءَ... عليْكَ بالإكْثارِ مِن اللّوْنِ الأسْوَدِ لِحاجتِكَ الكبيرة إليه في تَحديد نِطاق الرُّسوم. ثم تَناولِ المِقصَّ مِنْ جَديدٍ لِقصِّ هذهِ الأوْراقِ على شَكْلِ مُربَّعَاتٍ ومُسْتَطيلاتٍ صَغيرَةٍ ورتِّبْهَا في مَجْمُوعاتٍ صَغيرةٍ، كُلّ لوْنٍ على حِدَة.

ولا تَنْسَ أنَّ عِدَّة فنَّانينَ كانُوا يَشْتركون في صُنْعِ لَوْحةِ فُسيفساءٍ واحدَةٍ، ولذا فقلَّمَا كانُوا يُوَقّعُونَ أعمالَهُمْ. فاحْذُ حَذْو الأقدمينَ وأشْرِكْ أخوتَكَ وأخَواتِكَ ورفاقَكَ في صُنْعِهَا واتّفقُوا سَوياً على اختِيَارِ الرَّسْمِ وانْتقاءِ الألْوانِ التي تَرْغبُونَ في اسْتِخْدامِها.

ورُبَّمَا وَقَعَ اخْتيارُكُمْ على أحدِ الرَّسْمَيْنِ الوَارِدَيْنِ فِي الصَّفحَةِ التَّاليَةِ :

أي على هَذَا الأسَدِ . . .

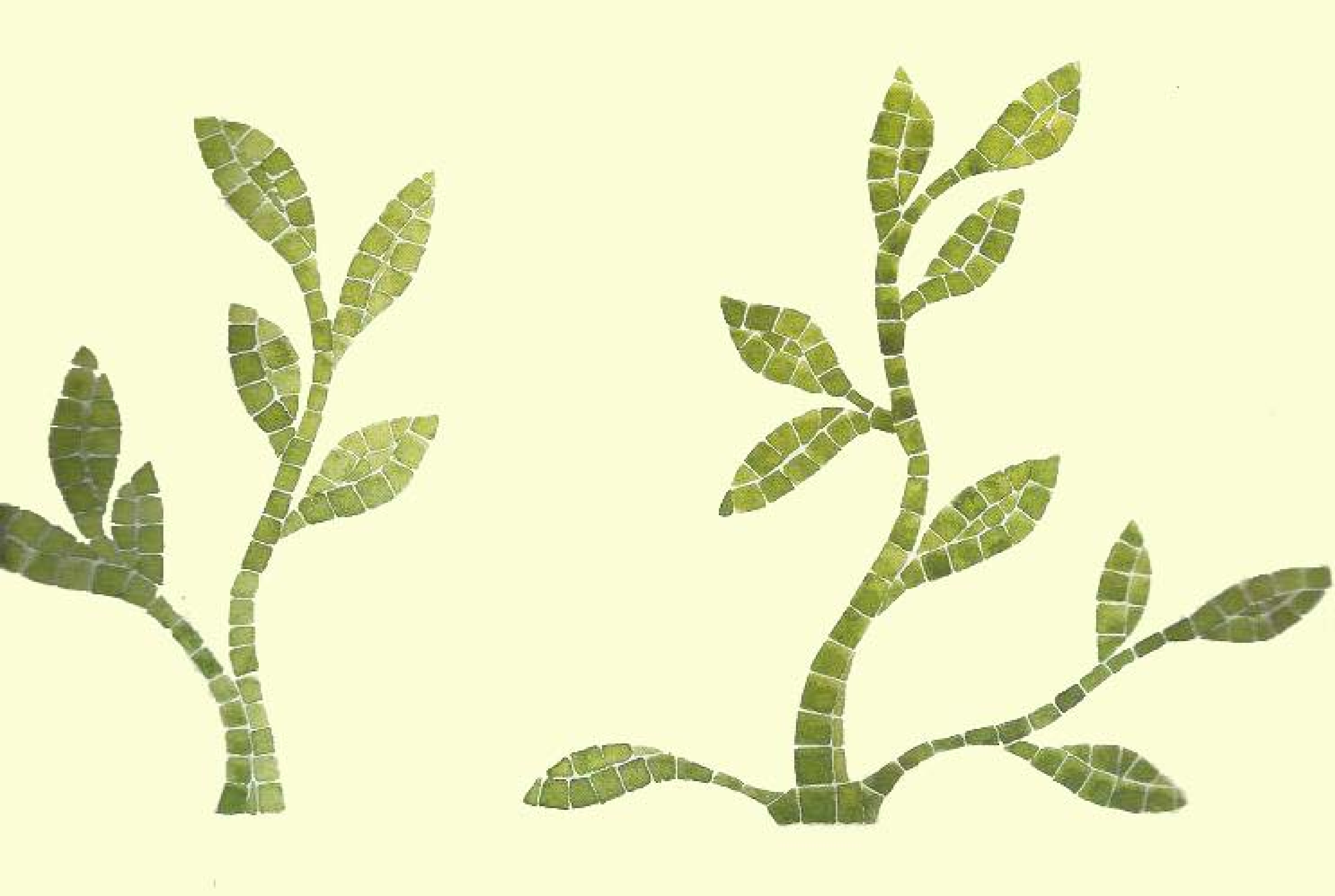


لوحـــة فسيفســـاء قديمـــة

. . . أو هذه الشَّجَرةِ



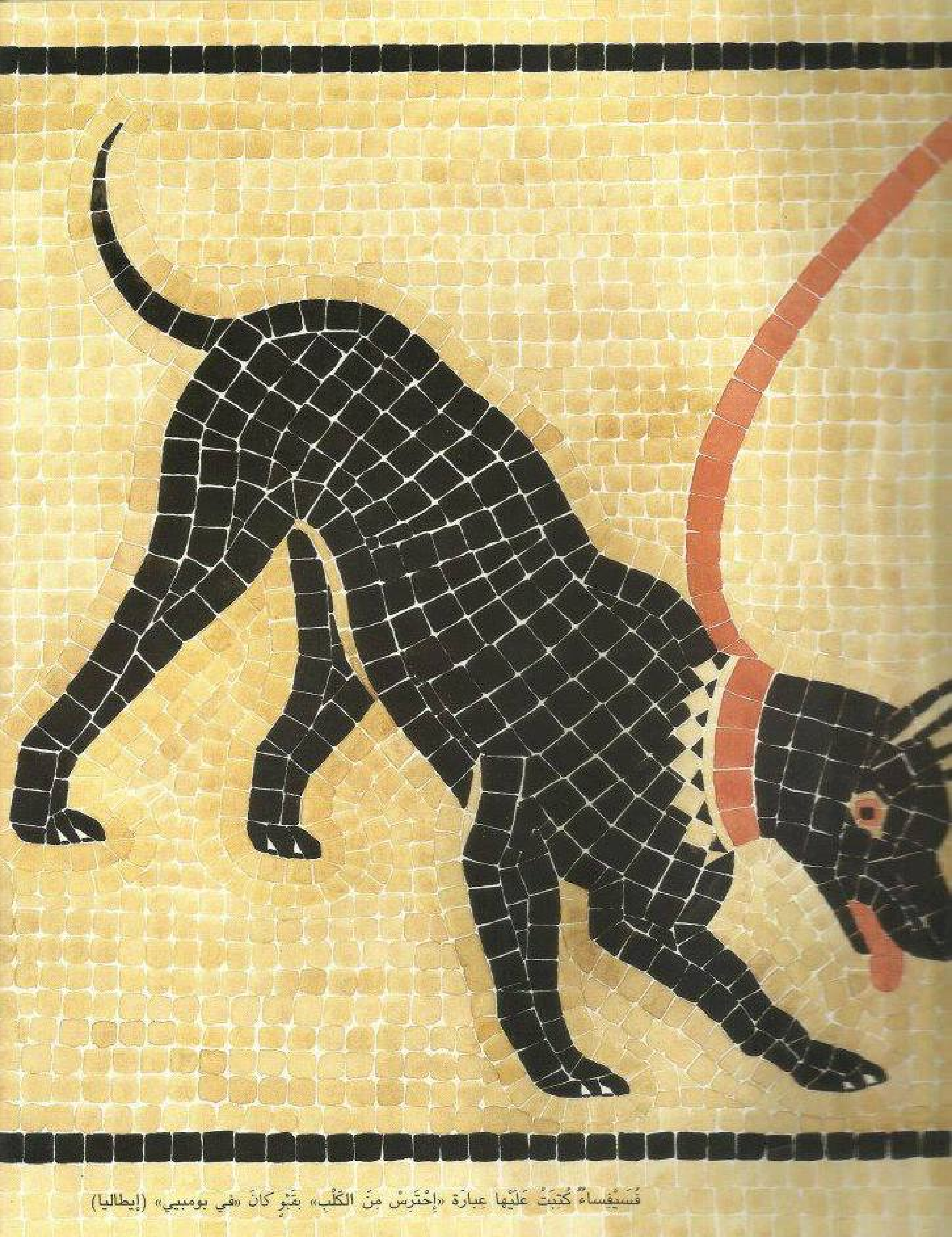
شجرة – من لوحـة فسيفسـاء قديمـة



فكثِيراً مَا صُوِّرَ الأسَدُ على لوْحَاتِ الفُسَيْفِسَاءِ، فِي مَشاهِدِ الصَّيْدِ مَثَلًا. كَمَا
أصبَحَ يَرْمُزُ إلى القِدّيسِ مرقص في الكَنَائِسِ المَسيحيّةِ. كما وُجِدَ الأسد مُصَوَّرًا
في لَوْحَةِ فُسَيْفِسَاءٍ تُزَيِّنُ قَاعةَ العَرْشِ بقصْرِ أحدِ الخُلفاءِ المُسْلِمِين. وكثيرًا
ما صوِّرَتِ الشَّجَرَةُ كرمزٍ للحيَاةِ في الحَضَارَاتِ القَدِيمَةِ.



فُسَيفساءٌ مُسْتَخْدَمٌ في جدار خرْبَة المَفجَر (الأرْدُنّ) سَنَة ٧٤٣ ميلادية.



فُسَيْفِساءٌ كُتِبَتْ عَلَيْها عِبارَة «إِحْتَرِسْ مِنَ الكَلْبِ» بِمَبْنًى كانَ «في بومبيي» (إيطاليا)

واستُخْدِمتِ الفُسَيْفِسَاء كذَلِكَ لِتحْذِيرِ النَّـاس أو لإعْلامِهم بأمرٍ مَا. فَقَدْ صُوِّر هذا الكَلبُ لِلتحذِير منْ أنّ كلباً يحرس البَيت. أمّا لوحَـةُ الفُسَيْفِسَـاء المُصوَّرةُ أسفَل الصَّفحَةِ فَقَد عُثِـر علَيْهـا في أرضيَّـةِ مدخَلِ حمَّـامٍ رُومانيّ (وكان يؤُمُّه الناس آنَذَاك للاسْتحمَام ولِلرَّاحَة) وقَدْ كُتبَت علَيْها عبارَتانِ في اتِّجاهَين عَكسِيين : الأولَى مَا زالَت مَقرُوءةً إلى يومِنـا هذا وهي تَتَمَنَّى للقَادِم حَمَّاماً هَنيئًا. وأمَّـا الثَّانيَة، وقَد كَادَتْ معَالمُها أن تندَثِر، فلَمْ يكن بمَقْدور الرُّوَّاد قراءتُها إلا عند الخُرُوج، وكانتْ تُعْربُ عن الأمل في أن يكُونُوا قدْ استَمتعُوا بحمَّامهم.



فُسَيْفِساءٌ مُسْتَخدَمٌ في أرْضيَّـة «تيمقد» (الجزائر) القرْن الثَّاني بَعْدَ الميلاد.

وقد شاع تصويرُ الطُّيور في الفُسَيْفِساءِ ربّما بسببِ ألوانِها الزّاهية. وقص
على هَاتَين اللوحتَيْن في ايطاليا والقُدس.



صورة بطّة في لوحة فسيفساءٍ بكنيسةٍ في القدس عاصمة فلسطين.



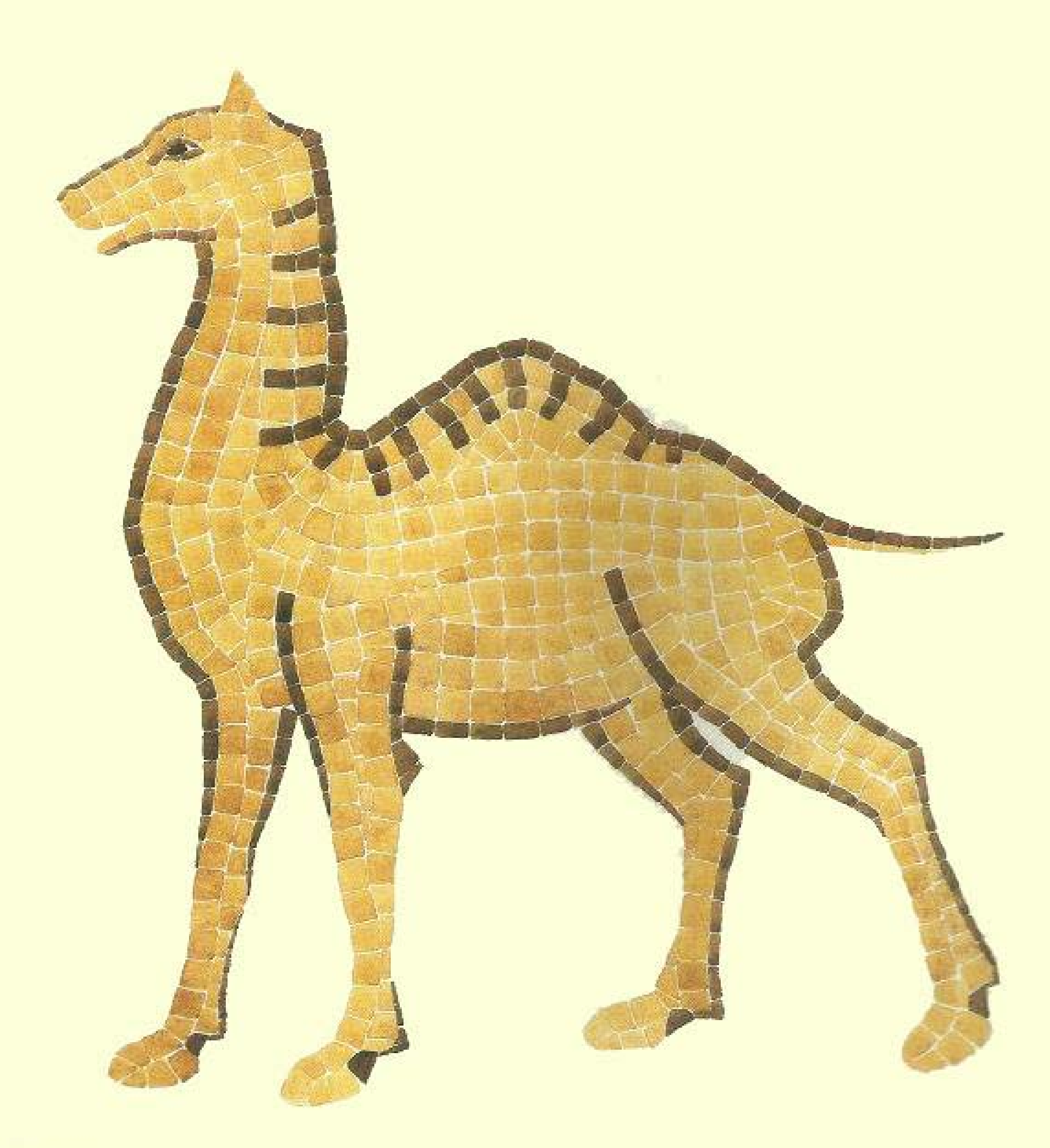
أَجْزاءٌ مِنْ لَوْحاتٍ تُصَوِّرُ طُيوراً في «بومبيي» و «رافين» (ايطاليا)

أشكالٌ زُخرفية ذاتُ تكويناتٍ هندسيّة، في لوحةِ فسيفساءٍ قديمة.

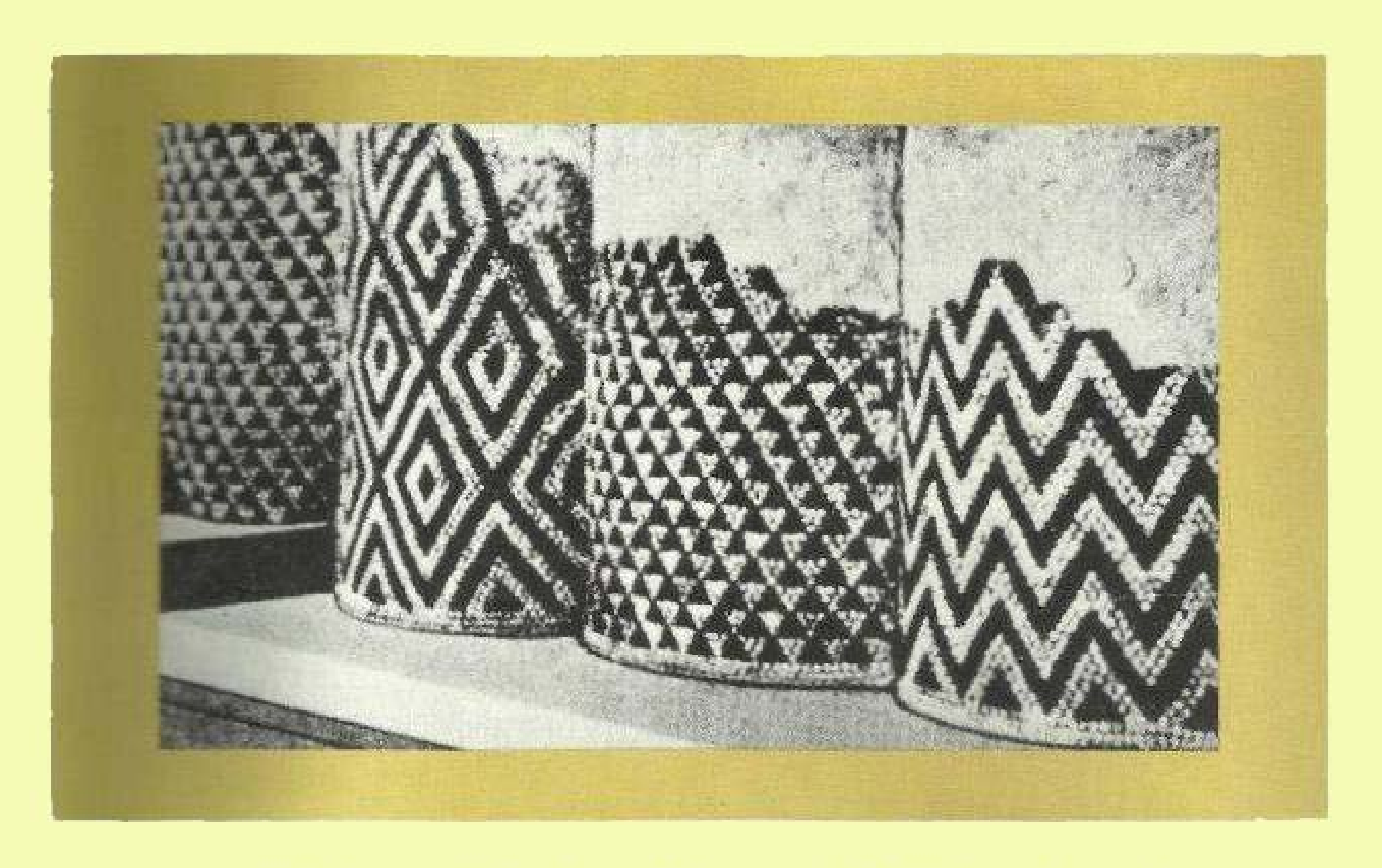
ثمراتُ صَنَوْبَرٍ في «تيمغد» (الجزائر)، القرن الثالث الميلادي.

وتَحتلُّ الزخارفُ الهندسيَّةُ مكانةً خاصةً في الفُسيفِسَاءِ. وتتيحُ هذه الخُطوطُ متقاطِعةُ حُريَّــةً كبيرةً للإبداعِ ومجالًا فسيحاً أمام استخدامِ الألوانِ والأشكالِ.

وهنا رسمٌ للجملِ، وهو حيوانٌ ذو أهميةٍ كبيرةٍ في المَناطقِ الصَّحراويةِ.



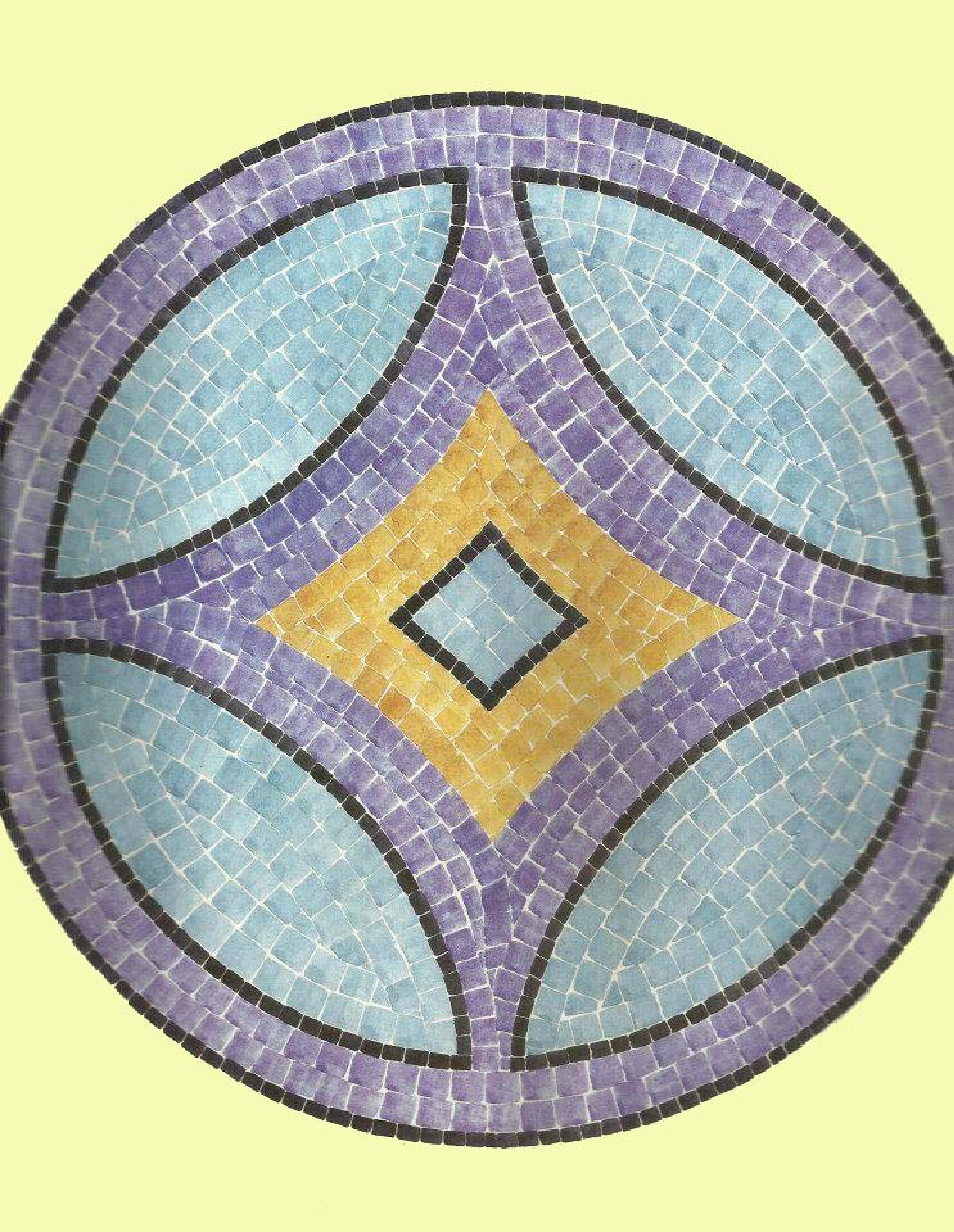
صورة جمل في ميزيس - تركيا



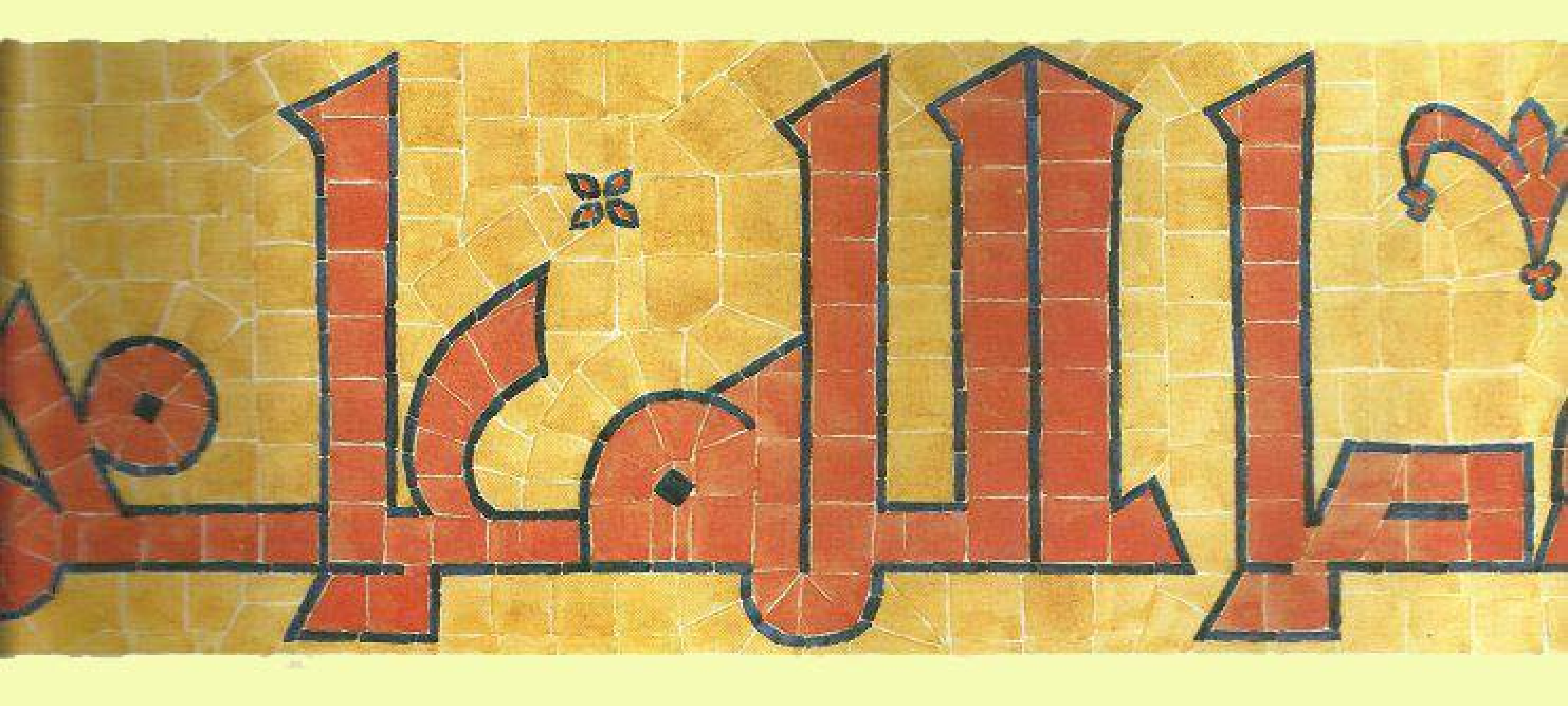
أوّل فسيفساءٍ معروفة في العالم وُجدت في أطلال مدينة الوركاء (أوروك)... أربعة آلاف سنة قبل المسيح.

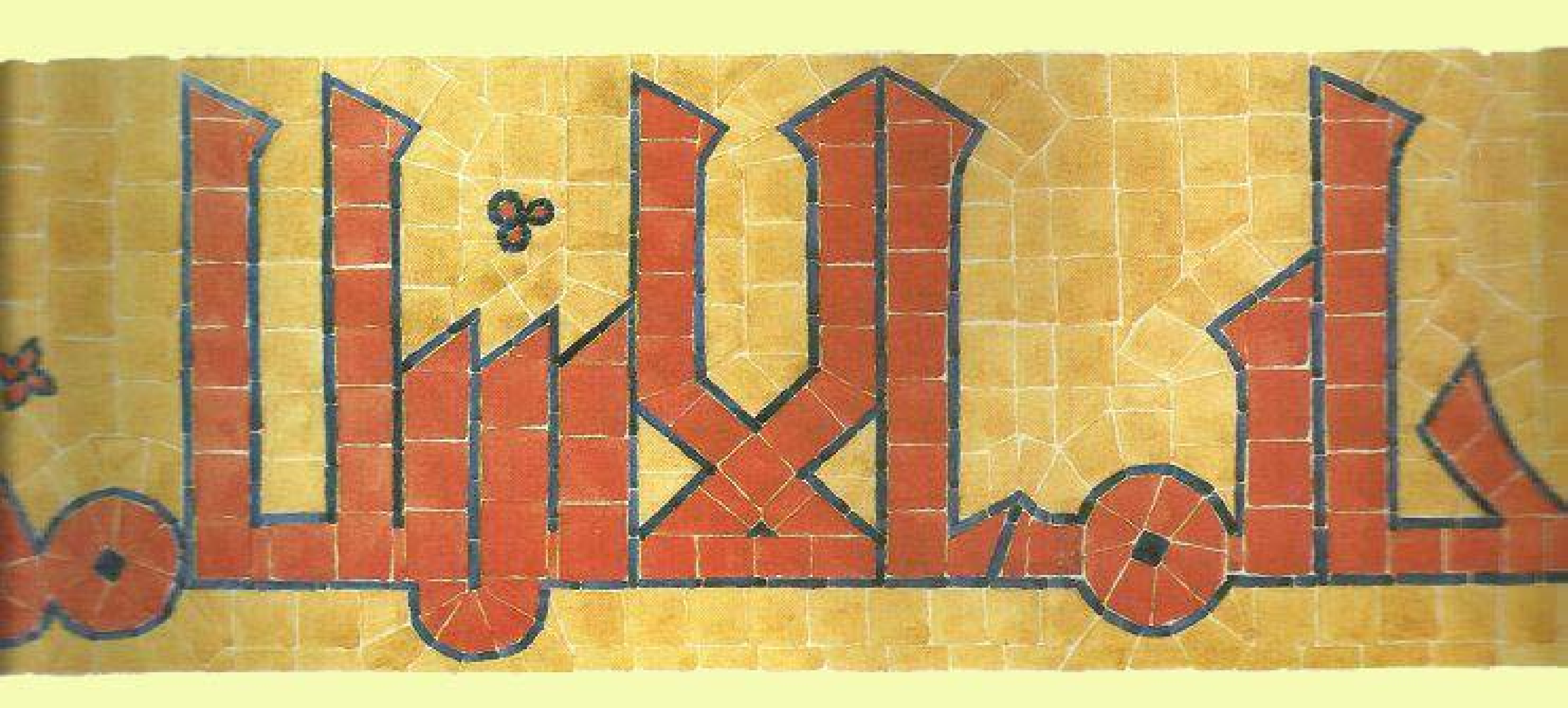
وكثيراً ما كانَتِ الرسُوم الأساسيّـةُ، التي تُستَخْدَمُ فيها أشكالٌ بسيطةٌ من الزهور وثمَرَاتِ الصنوْبرِ ودوائرَ ومَربّعاتٍ ومَعيناتٍ وغيرِهَا، تتداخَل وتتشابَكُ لتؤلّفَ لوحَاتٍ بديعةً.

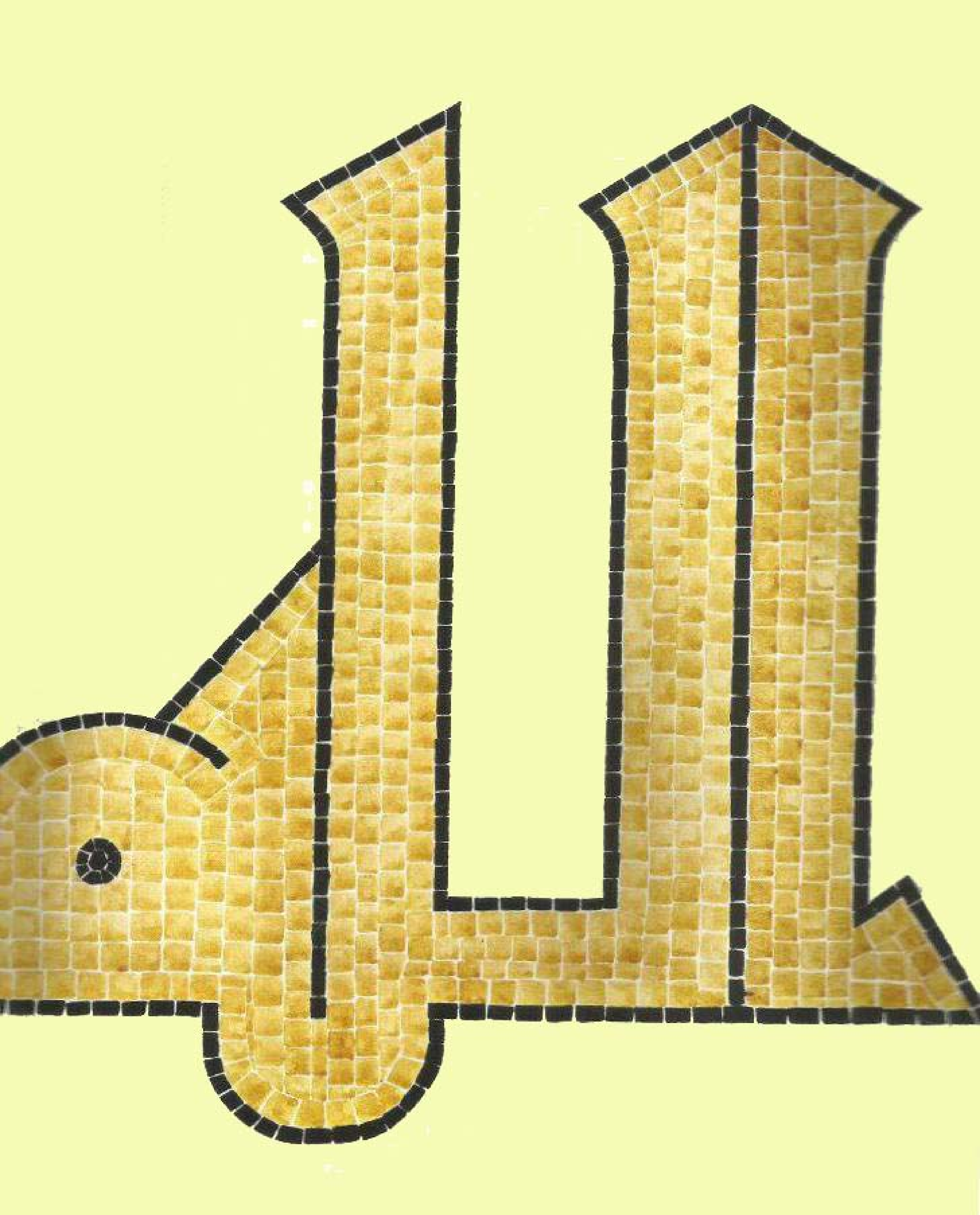
ولَئِن كانت الفُسَيفِسَاءُ المستخدَمةُ في الكنَائس تُصَوّر في معظم الأحيانِ مشاهدَ مستوحاةً من الانجيلِ أو القديسينَ، فقَد سادت في المسَاجد الزَخارِفُ الهندسيّةُ والرَقشُ العَربيُّ (الآرابسْك) والكتاباتُ القرانيّـةُ المكتوبَـةُ بالخطّ الكوفي. وهو خطٌ قديمٌ يَغْلبُ على حُرُوفِهِ الشّكلُ المُربّع. وما زالَ الخَطُّ العربيُّ العصريّ يُعتبَر عنصراً زُخرُفياً هامّاً نظراً لجمَالِهِ ولسلاَستِه.

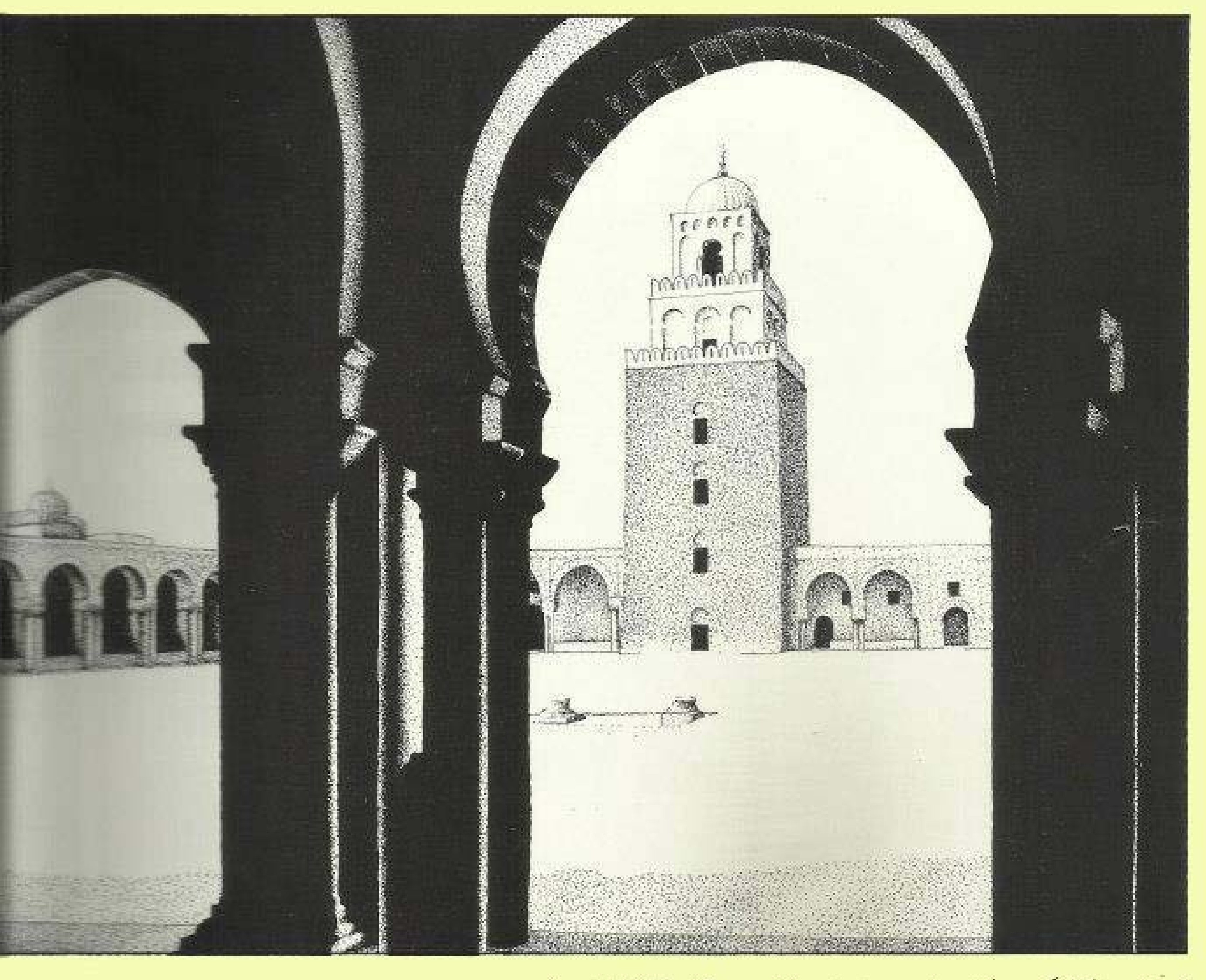


أجْزاءُ من لوحاتٍ بالمسجدِ الجامعِ بقُرْطُبَة (اسبانيا).





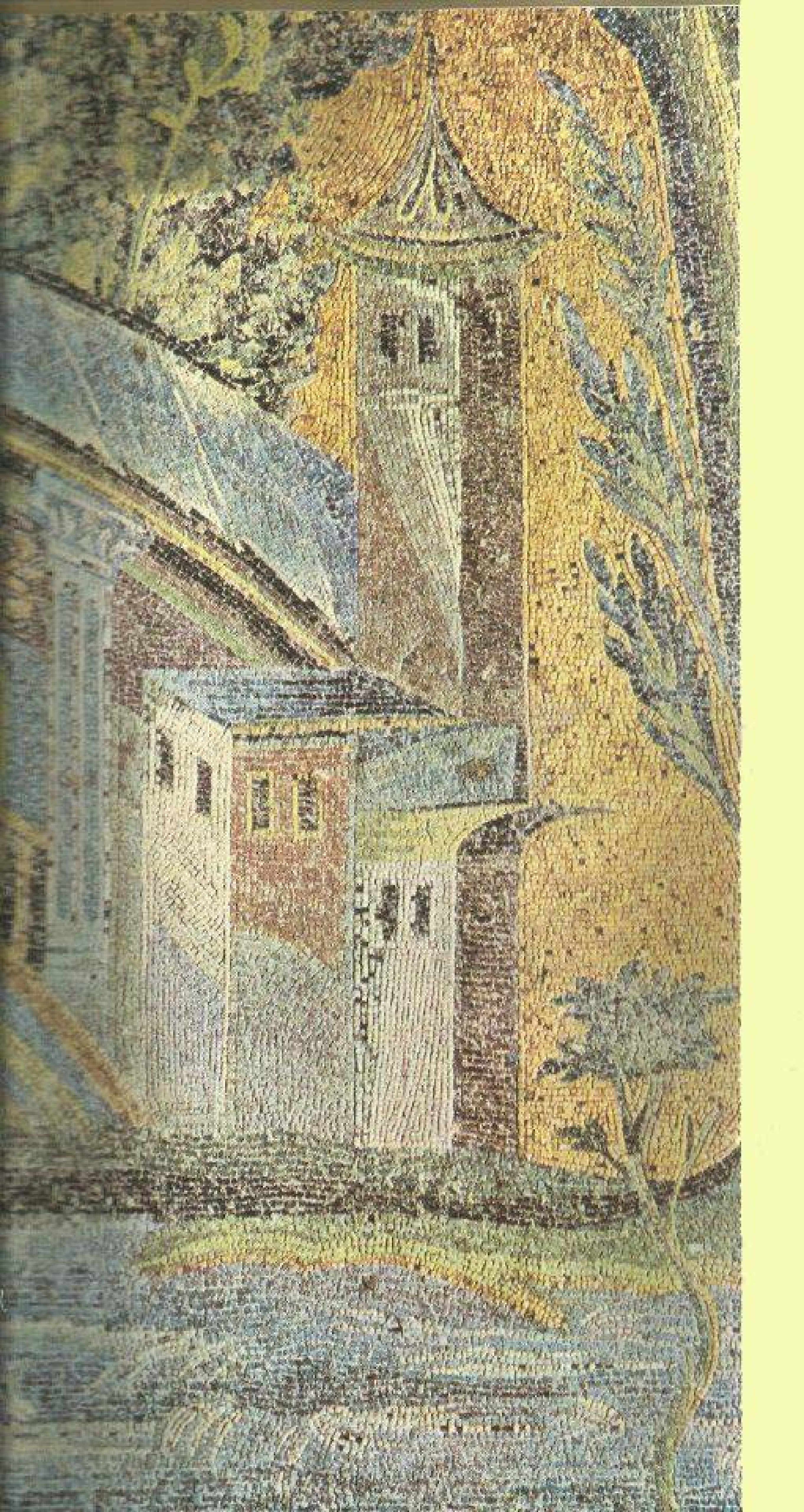




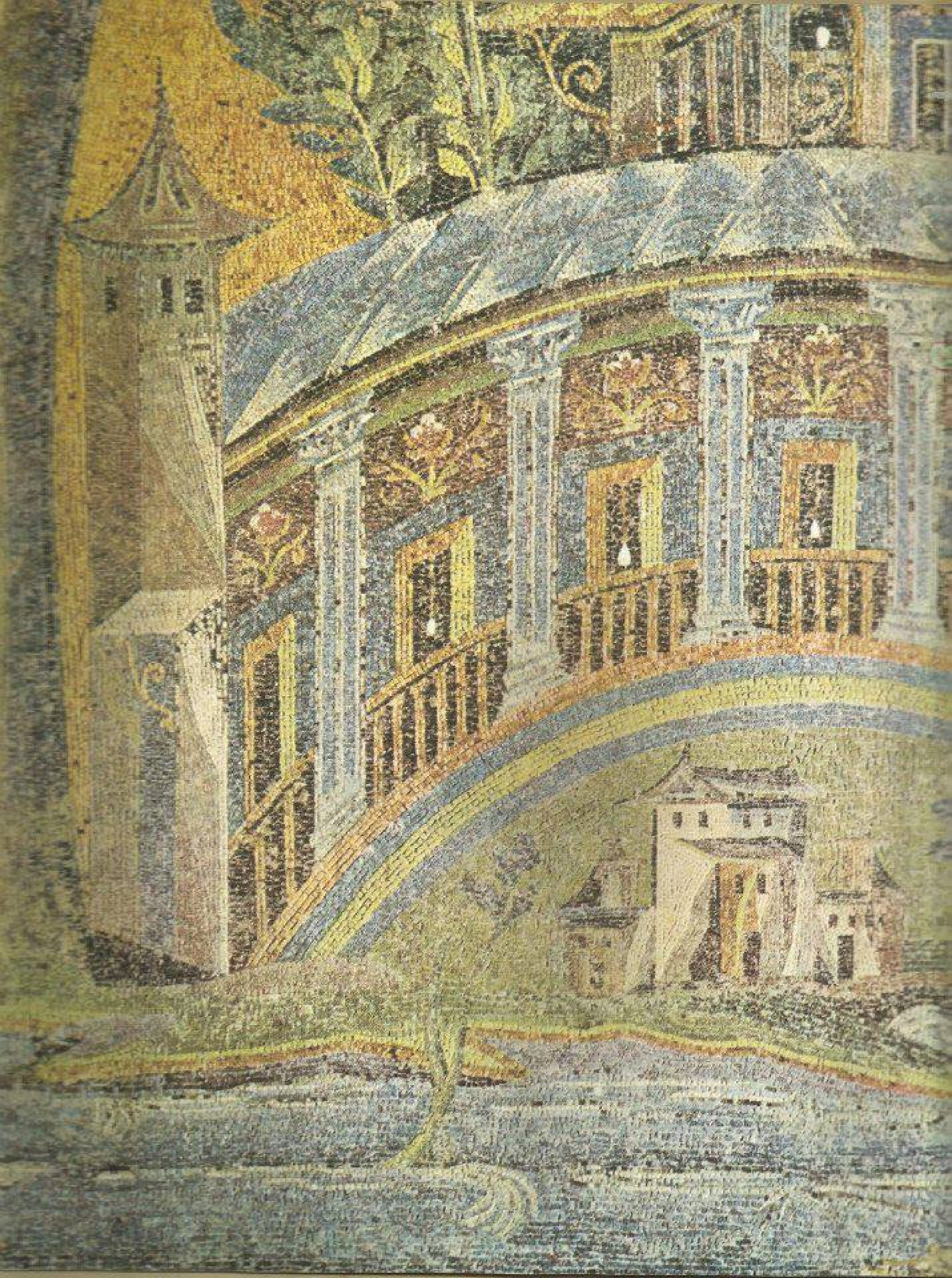
المسجد الكبير « جامع عقبة بن نافع » بالقيروان (تونس) .

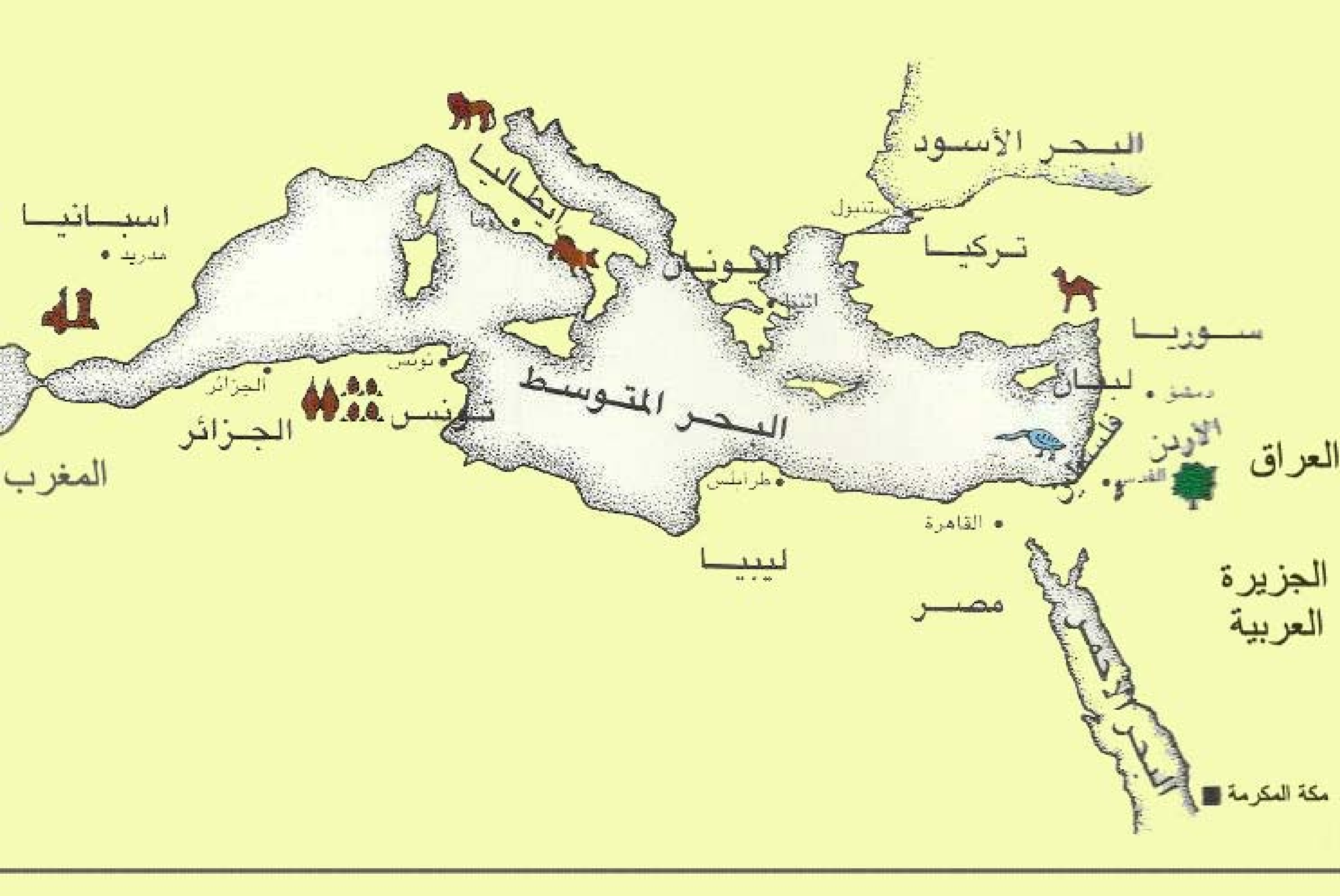
ومن الطّبيعيّ أنْ يَشيعَ في المَساجِد كِتابَة اسْم «الله».

وبالجَامع الأمويّ بدمَشْق لَوْحاتٌ بدِيعَةٌ من الفُسَيفِسَاء، تُمثّلُ مناظرَ طبيعيّةً وبيوتاً، وتُعطِيكَ الصَّفْحتانِ التاليتَانِ فكرةً عن رَوْعتها.



لوحة فُسَيفِساء تُزَيّنُ
أحدَ جُدرانِ الجامعِ
الأموي بدمشق.





وها نحنُ قد بلغنَا نهايةَ رحلتِنا السريعةِ عبْر عالم الفُسَيفِساءِ، وستجدُ على خارطةِ البلاد المُحيطَة بالبحرِ الأبيضِ المتوسّط مواقِعَ الأبنيةِ الأثريّةِ التي صَحبنَاكَ إليها لتتأمّل روائعَ فُسيفسَائها. ونتمنّى أن تُشاهِدَها بِنفسِكَ في يوم من الأيّام.

وبانتظار هذا اليوم، هيّا خُذْ ورقَــةً كبيرةً وارسُمْ ما يرُوقُ لك من الرُّسوم، امْلأها **مع** رفاقِكَ بقِطعٍ صغيرةٍ من الورقِ المُلوّنِ والْصقُوها سويّاً بعنايةٍ الواحِدةَ إلى **جانبِ** الأخرى.

وعنـد الفَراغ مِن لوحتِكَ وبَعْدَ أن يَجِفَّ الصَّمغُ تماماً ثبّتها على ورقةٍ من الكرتُونِ **وزيّن** بها أحَدَ جُدْرانِ منزِلِكَ.





- اترى هذه الرسوم البديعة التي تحيل الجدران الى صور تتألق فيها الالوان ؟
- نعم ... انها اشبه بحصى صغيرة ملونة مرصوصة الى جانب بعضها البعض
- وهو كذلك ... وهذا ما يسمى بالفسيفساء ... وهذا الكتاب يحكي قصتها

الناشر : دار ثقافة الاطفال - ص.ب ١٤١٧٦ بغداد
تلكس ٢٦٠٦ - هاتف ٧٧٦٠٦٢١

ثمن النسخة داخل العراق ١٠٠ فلسا عراقي
وخارج العراق ١٥٠ فلسا عراقيا او ما يعادلها